الشراهة دمرت حضارات كبيرة

الأحد 2012/9/23 المصدر : الأنباء عدد التعليقات 2 عدد المشاهدات 2761

بقلم : فيصل الزامل

رأيت في برامج الطبيعة طائرا يفقس من بيضة، ثم يفقس شقيقه بعده بساعات قليلة في نفس العش، تعجبت من قيام الفرخ الأول بدفع شقيقه عدة مرات حتى رفعه الى حافة العش وأسقطه من أعلى الشجرة، ليتخلص ممن سينافسه على الطعام، الغريب أن الفرخين كانا لايزالان أعميين، من أين عرف الطائر الأول أن شيئا فقس بجانبه وأنه سينافسه على الطعام وأن عليه أن يتخلص منه فورا؟! انها طبيعة في الخلائق وهي بين البشر أشد قسوة ما لم تنظمها القيم، فالاحتكاك يحدث بين الناس الأقرب الى بعضهم في المكان وحتى في العادات بل والدين والمذهب، بسبب المنافسة على الرزق، فالعداء بين الايرلنديين والانجليز أشد من عداوة كل منهما للفرنسيين، وكذلك بين الصينيين واليابانيين، أشد من عداوتهما للروس بالرغم من تقارب الثقافة والدين بينهما، فكلما كان الناس أقرب الى بعضهم زادت فرص الاحتكاك، فالطائر الذي أسقط شقيقه لم يهتم بالعش الآخر لطيور أخرى من فصيلة أخرى، كذلك نحن البشر، يحدث الاحتكاك بين الكويتيين بعضهم البعض، بينما تبلغ نسبة الاخوة الوافدين 60% من السكان ولكن لأنهم لا يشكلون هاجس ذلك الطائر فلا تحدث احتكاكات بنفس قسوة الأقرب الى بعضهم البعض!

لو أننا ذهبنا الى هذا الجزء من الجسد، الذي يعاني من تشنج في عضلة التوكل والثقة بالله، وترك الخوف والطمع، ودلكنا هذه العضلة عدة مرات، بزيت زيتون اليقين «عباد الله، أجملوا في الطلب، فإنه قد أوحي الي أنه لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها وأجلها» فلربما ازدادت فرص الشفاء، بدلا من الضياع في وديان الهذيان بعبارات تنظير عن الوحدة الوطنية كررناها آلاف المرات بغير تأثير حقيقي، لأننا لا نغوص في باطن تلك الأنفس (...وأحضرت الأنفس الشح).

تذكرت هذه المقاربة بعد سماع كلمة السيد علي الموسى في احد المنتديات «الكويت لا تقبل القسمة على اثنين، خيراتها ومواردها هي ملك لجميع الكويتيين» فوجدت أن شراهة «الأخذ» انتشرت بشكل غير طبيعي في السنوات الأخيرة، وبسببها اندلعت معظم تلك المعارك التي أشعل شرارتها ساسة ونقابيون يبنون مجدا زائفا على حساب استقرار النفوس، لابد من وقفة مراجعة، فقد أسرفنا في الصرف على الاستهلاك وتجاهلنا المشاريع النافعة، أبناؤنا يتجولون في المطارات بحثا عن التعليم وكبارنا يتغربون في المدن الأجنبية بحثا عن العلاج، جل اهتمامنا هو توجيه اللوم يمنة ويسرة، ولو أنصفنا لعرفنا أن الكل مسؤول (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم).

نعم، لابد من فتح هذا الدمل وتنظيفه من تلك الشراهة وهذه الغفلة الشديدة عن تقلبات الزمان، اقرأ

آخر آية في سورة مريم (وكم أهلكنا قبلهم من قرن، هل تحس منهم من أحد، أو تسمع لهم ركزا؟).

كلمة أخيرة:

وقف عمر رضي الله عنه أمام الخراج - أموال الزكاة - الذي جمع أمامه في ساحة المسجد، وفيه من صحائف الذهب والفضة ما يبهر النفس، فبكى، قال له رجل «أتبكي يا أمير المؤمنين وهذا أوان فرح وسرور؟» فقال «ما فتح على قوم مثل هذا الا دخلهم الشح وفشت فيهم البغضاء والحسد والضغينة»، لقد تعلم عمر في مدرسة الرسول صلى الله عليه وسلم القائل: «والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أن تفتح الدنيا كما فتحت على من قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم».